في ذاكرة الزمان والمكان (1)

وَعُدْنَ إلى يافا

روضة الفرخ الهدهد

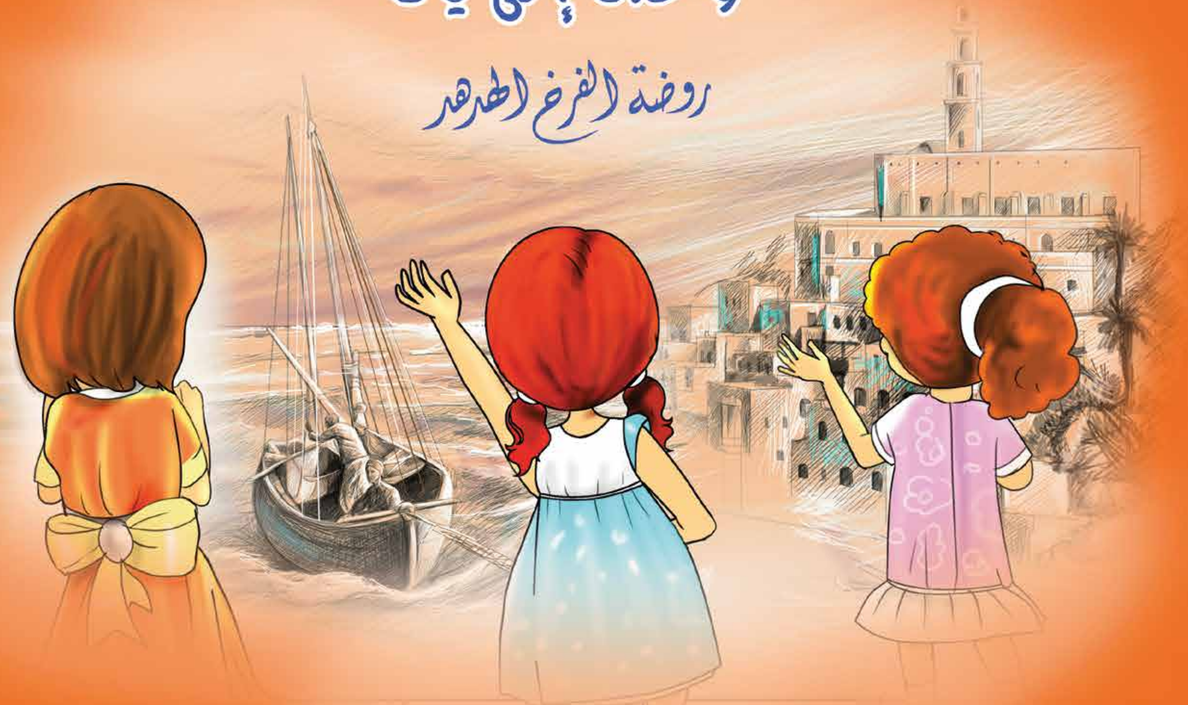

Memoris Of Time And Place (1)

Back to Yafa

Rawda Al-Farekh Al-Hudhud

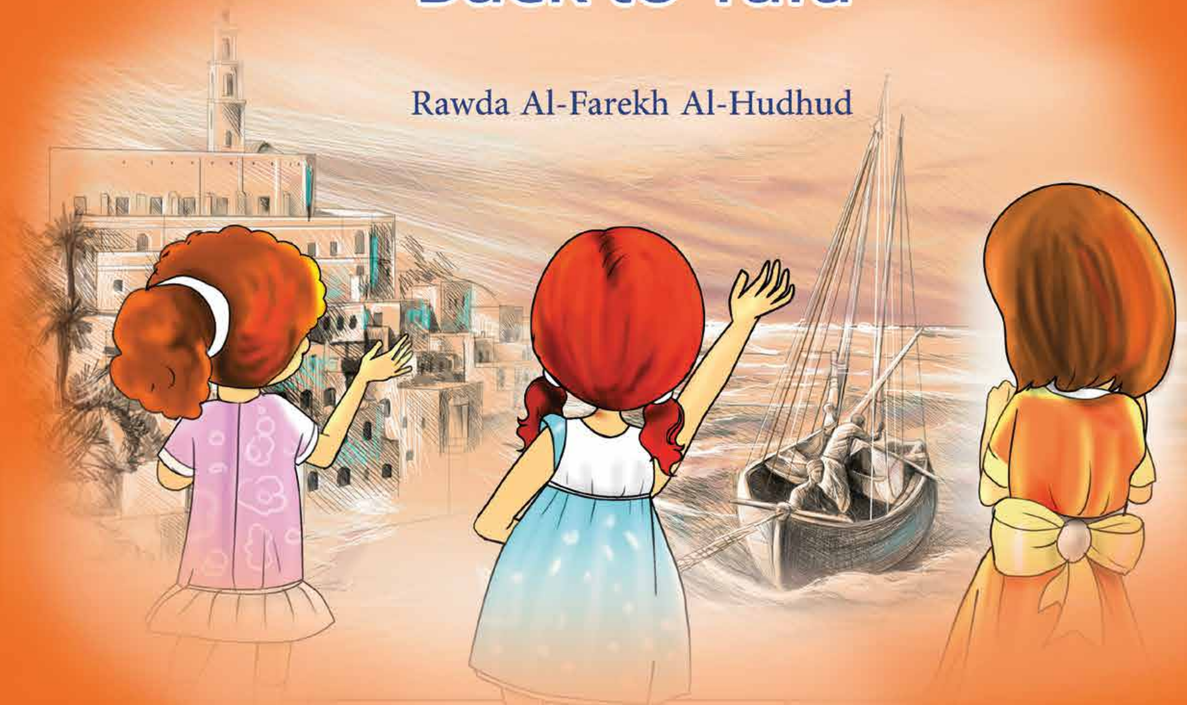

وَعُدْنَ إلى يافا

الكاتبة

روضة الفرخ الهرهر

رسوم وإخراج الفنان : رائد القطناني

دقق النص : الكاتب محمد عواد

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أخـواتي : ازدهـار "أزدي" وافتخـار "أفتـي" وانتصـار "أنجـي" اللـواتي أشـعلن في قلبـي الحب والحنين ليافا مسقط رأسي و رؤوسهن .

الى الزميـل صبحـي طـه والزميلـة ريمـا ملحـم وزملائهـما في مشروعهـم ـ حفـظ الـتراث والتاريخ والحضارة لمدن فلسطين المغتصبة.

في ربيعِ عام 1980 حَزَمَتِ الأخواتُ الثلاث "إزدي" و "أنجي" و" أفتي" حَقائبهنّ واتّجهنَ إلى الجسرِ للسَّفرِ إلى يافَا .. كانت هذهِ أوّل زيارةٍ لهنَّ ليافا بعدَ فراقٍ طويلٍ دامَ خمسينَ عاماً.

في السّيارةِ بَدأت كلُّ واحدةٍ تُحدِّثُ الأخريات عن مشروعِها "السِّياحيِّ" في يافا .. أينَ ستذهبُ ، ماذا ستُشاهد ، عمّن سَتسأل .. ماذا سَتشتري ... ماذا سَتأكُل..

ولكنّ السائق وقبلَ أن تصلَ السَّيارةُ إلى مشارفِ يافا عن طريقِ القُدسِ – يافا ، قدّم لهنّ عصيراً ، قال إنهُ عصيرٌ من برتقالِ يافا ..فهو - كما قال - أيضاً من يافا وهو يَعرفُها أكثرَ مما يعْرفْنَها.

أخـذت الأخـواتُ الثـلاث كـؤوسَ البرتقـالِ وشرِبْنهـا دفعـةً واحـدةً ، ويـا لهـول مـا حصـل ! لقـدْ عـادت كلُّ واحـدةٍ منهـنّ بالعمـرِ إلى عهـدِ الطّفولـةِ .. صَغِـرتْ أحجامُهـنَّ ، طـالَ شـعرهنَّ ، انكمـشَ خصرُهـنَّ ، كَـبُرتِ الأحذيـةُ عـلى أقدامِهـنَّ ، حتـى لمْ يَعُـد شـيءٌ كـما كان !!.

ضَحِكَ السائقُ قائلاً في سِرِّه : لقد خسرنَ خمسينَ عاماً مِنْ أعمارِهنَّ !!

وصرخـتْ "إزدي" بالسـائقِ تنهـره بشـدةٍ وهـي تقـول : مـا هـذا يـا عـمّ ؟ مـا هـذه الأكـوابُ الكبـيرةُ التـي بأيْدينـا ؟ أيـن بيـت أبي وأمّـي ؟ أنـت بعيـد جـداً عـن بيتِنـا في النزهة ... ألا تعْرف النُّزهة ؟ اذهب إلى هناك وسَأدلّك على الطريقِ .

وقفـتِ الأخـوات أمـامَ بوّابـة منزلهـنّ .. بوابـة حديديّـة ترتَفِـعُ فوقهـا شُرفـة تُطِـلُّ عـلى الطريـقِ العـامِ .. دَخلـتِ الأخـواتُ الثـلاث وهـنَّ ينَادِيـنَ عـلى أمِّهـن التـي كانـت في المَطبخِ تُعِدّ لهنّ طعامَ الإفطار !!.

لقدْ تأخَّرنا يا أُمِّي .. سيدقّ جرس المدرسَةِ بعد قليلٍ ، ولنْ تقبلَ المديرةَ أن نَصطفَّ بالطَّابورِ إنْ تأخَّرنا ..هيّا .. هيّا ..

في ثوانٍ لَبِسَتِ البناتُ مراييلَ المدرسةِ السوداء ذاتِ القَبة البيضاءِ مع الجرابين البيضاءِ، وانطلقنَ إلى مدرسةِ الزهراء ووقفنَ في الطّابورِ الصباحيِّ ، وبعدَ ثوانٍ انطلقَ صوتُ البيانو تعزفُ عليهِ معلمة المُوسيقى أجمل الألحانِ ، لتَدْخُلَ الطّالباتُ إلى صفوفهنَّ على ألحانِها العذبةِ !!.

في الصف وعلى اللوح انتبهت "إزدي" الى تاريخ 15/ 10/ 1940 فقالت في نفسها : بعد أيام سيكون حفلُ زفاف ابنة عمي , والحفل سيكون في البيارة حول بركة الماء وبين أشجار البرتقال , والجميع يتجهز ليكون الحفل رائعا , وسأكون أنا وأخواتي الأروع ... لذلك سأذهب لأشتري حذاءً جديداً .

ولكـنّ الأخـواتِ الثـلاث لمْ يُعجِبهـنَّ البقـاءَ في المدرسَـةِ ، فقـد انسَـحبَت "أزدي" مـن صفّهـا إلى شـوارعِ يافـا الجَميلـةِ لـتَرى فيهـا أحـلى الملابـسِ والأحذيَـةِ .. مشـت في سـوقِ اسـكندر عـوض وسُـوق جـمال باشـا وسـوقِ الدرهـلّي ، وظلّـت تدخـل مـن دكّانٍ إلى دكّان .. مَـرَّت بالسَّـاحةِ التـي تتوسَّـطها السـاعةُ الكبـيرةُ ، وتأمَّلتهـا مَلِيـاً ، وهـي ترفـعُ رأسـها عاليـاً لتراهـا بارتفاعِهـا الكبـيرِ . وظلّـت تتَجـول لا يُهمهـا أحـد مـن أصحـابِ الدّكاكـينِ أو المارَّة الذين يزجُرونَها بنظراتِهم .

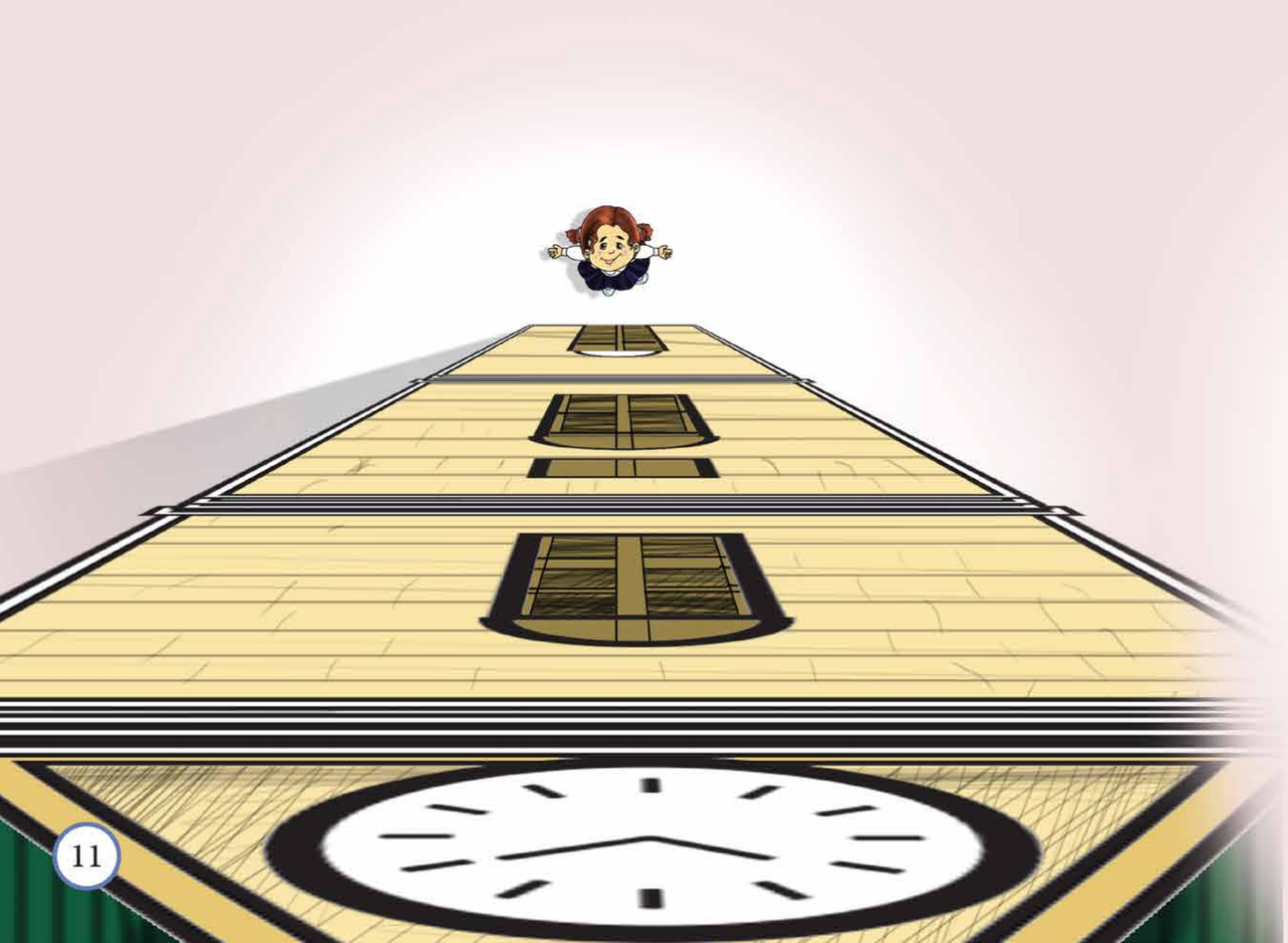

أمّا الأخت "أنجي" فقد ذهبَتْ إلى التّلةِ المُطلّةِ على البحرِ ، ونادتْ على ابنةِ عمِّتها القاطنةِ أعلى التَّلةِ ، وبدأتِ الاثنتانِ بالتّدحْرجِ مرَّاتٍ ومرّات مِن أعلى التلّة إلى آخرِها وضحكاتِهما تَملأ الجوَّ ، وفساتينَهما ترْتفِعان ثم تنخفِضان على أفخاذِهما . كان بيت عمتِها من أجملِ بيوتِ يافا ، فعمتُها من أجمل الجميلاتِ ، وزوجها من أغنى الأغنياءِ ، وبيتهما من أفخمِ البيوتِ المطلّةِ على البحرِ الأبيض المتوسط ؛ فيه أرقى الأثاث المستوردِ ، يزين مدخلَهُ بيانو أسود "أبنوسي" كبير ، طالما كانت ابنة عمّتها تتباهى بالعزفِ عليهِ .

أمَّا الثالثةَ "أفتي" فقدْ اتجهَتْ مُباشرةً إلى الشاطئ الرّمليِّ ، لم تكن تريد أن تدخلَ ميناءَ يافا حيثُ السّفن الكبيرَة التي تحملُ البرتقال ، بل أرادت أن تذهبَ إلى شاطئ "روبين" الرّملي .. هناك كانت قد غطّت في رمالِ روبين الناعمةِ حذاءَها الجديد، حذاءَ العيدِ ، وهي تُريدُ أن تجده لتَلبِسه .. فوالدها حذّرَها إن لمْ تجده ، فستذهبُ للعيدِ "حافية القدمين" ولنْ تلعبَ بالمراجيحِ .

ركبَتْ "أفتِي" هودجاً جميلاً فوقَ جملِ متوسّط الحجم ، ولمّا وصلت شاطئ رُوبين أمضت سَحابة النّهار تبحث عن حذائها في رملِ الشاطئ، و لمّا لم تجدْهُ ، راحتْ تتجوّلُ على الشاطئ .. فشاهدتِ الخيامَ المزركشةَ تملأ المكانَ ، ورأت الأسواقَ المليئةَ بالبضاعةِ تفترشُ الأرضَ ، وأحسّت بهبوبِ الرّياحِ العليلةِ من البحرِ وهي تلعبُ مع الأطفالِ الآخرين ، فغمرَ قلبَها إحساسٌ رائعٌ بالحبّ والجمالِ والسعادةِ.

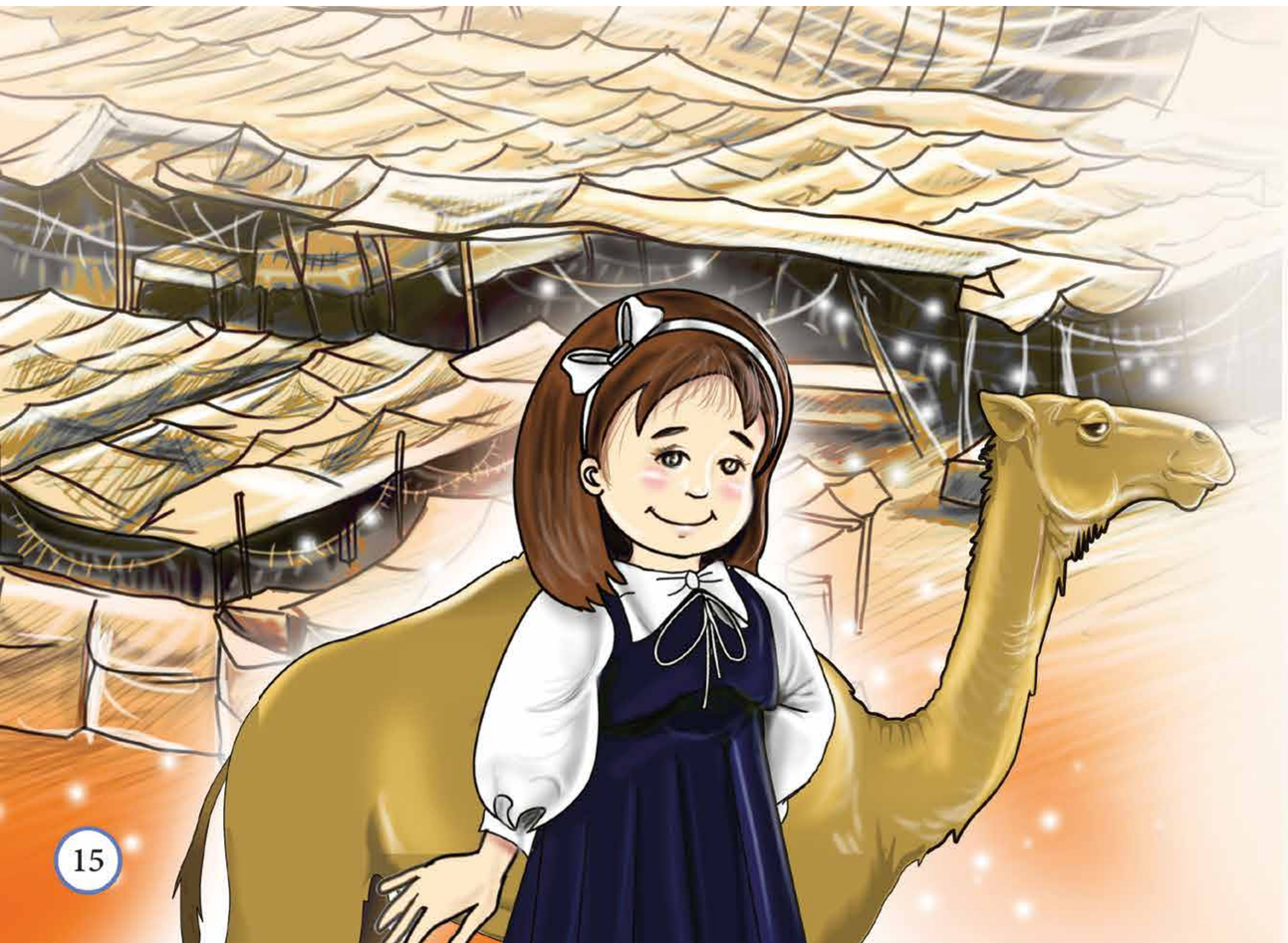

بعدَ ساعات التقتِ الأخوات مرَّة أخرى قُرب مطعم الشّيخ يونس على البحرِ ، ولكنّهن فوجئْن بالنادلِ يَحملُ صينيّةً عليها ثلاثَة أكواب من عصيرِ البرتقالِ أيضاً ، لم تكن الأكواب مُمْتلئة بالبرتقالِ ، بل نصفَ الكأس ، والغريبُ أنّ النادلَ كانَ هو سائقُ السيّارةِ الذي أعطاهنّ كؤوس البُرتقالِ المليئةِ الأولى .. واحتارتِ الفتَياتُ هل يَأخذنَ الكؤوس من يدِهِ أم يرفضْنها ؟ وأمامَ إلحاحِهِ ونظراتِ عينيْه القويّةِ المُخيفة شَربت الفتياتُ الكُؤوس ، فنَمَتْ أجسادُهنَّ ، وتكوّرت صُدورهُنَّ ، وملأتْ أقدامهن أحذِيتهنَّ ، فنظرنَ لبعضِهنَّ البعض وأخذْنَ يضحَكنَ حتى ملأنَ الجوّ ضحكاً وصخباً وحُبوراً .

وعادَ السّائقُ ،النادلُ، يَضحكُ قائلاً في سرّهِ: الآن اصبح عُمرهنّ خمسةَ عشرَ عاماً ، أترَون!!.

نظرت "ازدي "الى جدارالمقهى فإذا رزنامة كبيرة عليها تاريخ اليوم وهو 1/4/ 1948 فأحست بانقباضٍ في قلبها ، ولم تعرف سبب ذلك .

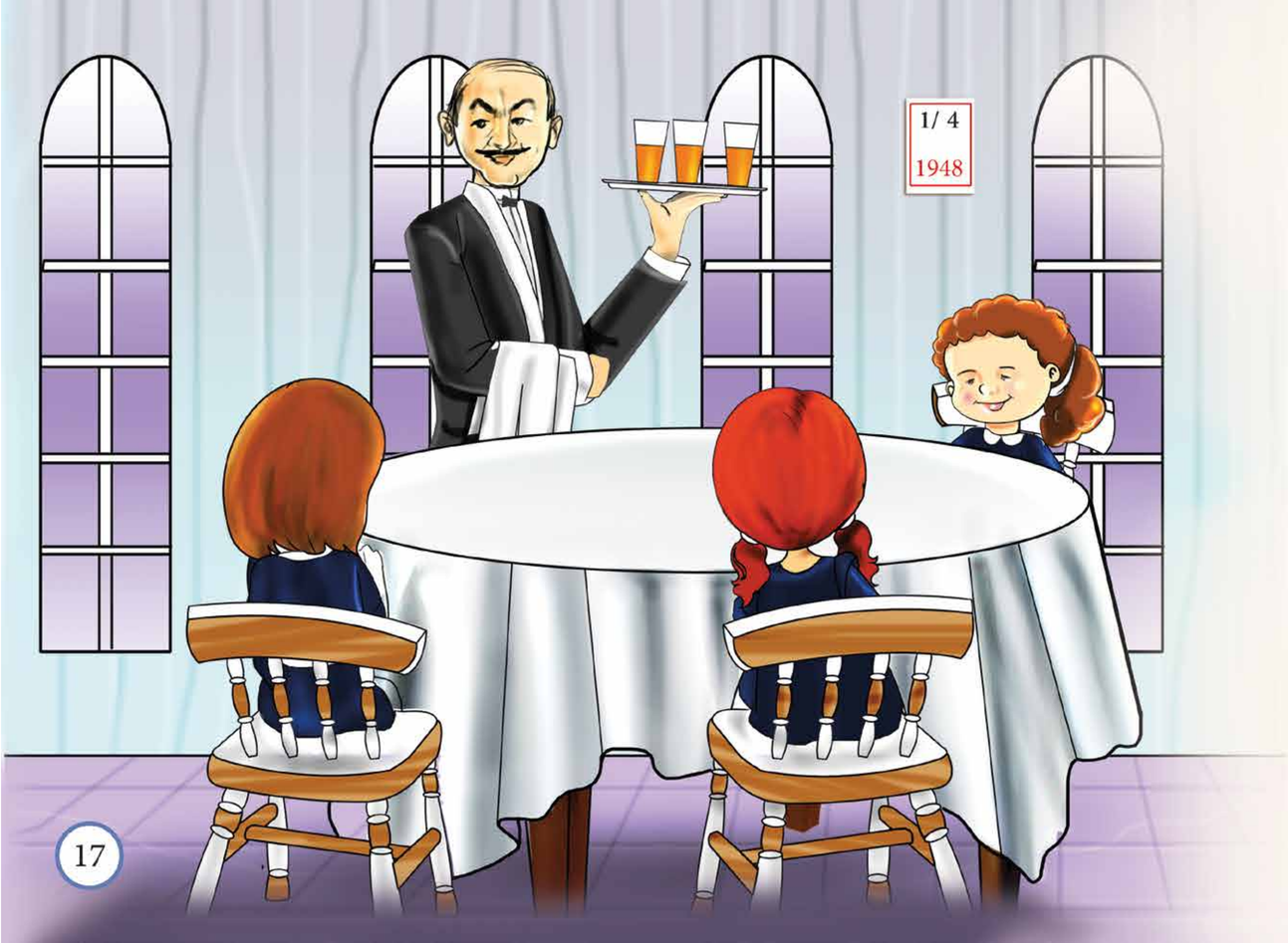

ولمْ تمضِ ساعاتٌ حتى اختلفَ الوضع ، فلقد لعْلَعَ صوتُ الرصاصِ فملأ الجوَّ ، وانفجرَتِ القنابل هنا وهناك ، وهُدّمت بيوت وانهارت بنايات .

سَمِعَتِ الأخواتُ التُّجارَ في شارعِ اسكندر عوض يقولونَ إنّ محلاتهم قدْ هُدّمت ، وسَمعْنَ العمَّال في البيارةِ يقولونَ إنّ القنابل اقتلعتْ عدداً كبيراً من أشجارِ البرتقال التي عاشت فيها منذ زمنٍ طويلٍ، أمّا المتنزّهون على رمالِ روبين فقد قالوا إنّ خيامَهُم اقتُلعتْ ، وبضاعتهم تناثرَتْ ، ولمْ يبقَ منها شيءٌ..

كان الخوفُ يُسيطِر على كلّ الوجوهِ والقلوبِ ، وقدْ ملأتِ الدهشةُ والحزنُ والأسى قلوبَ الفتياتِ أيضاً ، فأينَ ذهبتِ الملابسُ والأحذيةُ الجميلة؟!.. وكيفَ سُحِقت أغصانُ شجرِ البرتقالِ وتناثرت حبّاتهُ على الأرض ؟!.. وأينَ تَناثرتْ مصابيحُ روبين وأسواقُها وخيامُها الرائعة؟!.

ملأتِ الحماسةَ قلبَ " أنجي" فاتجهت إلى حيِّ العجميِّ ، حيث كان هناك عددٌ من الرجالِ وفِرَقِ الكشافةِ يُدافعون عن مدينتِهم و يواجهون عصابات المسلّحينَ اليهود ،

كان عـددٌ كبـيرٌ مـن سـكان يافـا يركضـونَ باتجـاهِ رصيـفِ الميناءِ ، وكلهـم يتدافعـونَ لركـوبِ السـفنِ والقـواربِ الواقفـةِ في البحـرِ، للنّجـاةِ مـن القنابـلِ والرصـاصِ ، تركُـوا يافـا دونَ وداعٍ ، ورَكِبوا السُّفنَ لحينِ انتهاءِ الحربِ وتوقّفِ القتالِ .

فجـأةَ ظهـرَ الرجـلُ ذو العينـينِ الغريبتـيْنِ واقفـاً عـلى ظهـرِ سـفينةٍ في الميناءِ، كان يَحمِـلُ حبـالاً سَـميكةً يَربِـطُ بهـا السـفينةَ إلى الشـاطئ .. نظـرَ إلى الفتيـاتِ وأشـارَ لهـنَّ بالصعـودِ بسرعةٍ إلى السفينةِ.

في لحظـاتٍ كانـت الأخـواتُ الثـلاث يُمسِـكْنَ يـدَ الغريـبِ ويصْعَـدْنَ إلى السّـفينَةِ ، بينـما كانـتْ صينيّة ملآى بعصيرِ البرتقالِ تنْتظِرُهُنّ !!!

** تمَّت **

MEMORIES OF TIME AND PLACE (1)

Back To Yafa

By : Rawda Al-Farekh Al-Hudhud

Translated by: khalid H. Hudhud, Tala Al-Zarraq.

Edited by : Dima Al-Tamimi, Isra'a Radwan.

In the spring of 1980, the three sisters Ezdi, Enji and Afti, packed their bags and headed to the bridge in order to travel to Yafa (Jaffa). This was their first visit after fifty years of separation.

They started telling each other about their tour in Yafa, where each girl wants to go, what each girl wants to see, who each girl is going to ask about, what will each girl buy, and what will each girl eat?

The driver, before they got to the outskirts of Yafa, (through the Jerusalem Road), offered them some juice, saying that it was orange juice which was taken of the oranges of Yafa, he also told them that he originally comes from Yafa and knows it more than they do.

The three sisters accepted the orange juice and drank it all at once, with a blink of an eye, something magical happened! Each one of them got back in time to when they were children, their bodies became smaller, their waists shrank, and their shoes got bigger, nothing was as it was before!

The driver smiled and said to himself, "They've become 50 years younger!"

Ezdi yelled at the driver and said, "What is this sir? What's in these big glasses in our hands? Where is our parents' house? Our house is in Al-Nuzha, and you are far from there! Do you know Al-Nuzha?

Go there, and I will show you the rest of the way."

And there they were, the three sisters were standing before the gate of their house, an iron gate with a balcony above it that oversees the highway. The three sisters then walked into the house calling out for their mother, who was making breakfast in the kitchen.

"We are late mother, the school bell will ring soon, and the headmistress will not accept us in the morning lineup if we're late, come on mother, come on."

Within seconds the girls put on their school's black uniforms with white collars and matching white socks, and headed to school, and took their place in the morning lineup. Seconds later, the teacher started playing beautiful music on the piano, while the students marched their way into their classrooms. While being in class, Ezdi looked at the date on the board, it was "15th – October -1940", then said to herself, "It is my cousin's wedding in days, it will be in the orange field, around the swimming pool, in between the orange trees, everyone is getting ready to make the celebration amazing, my sisters and I will be the most amazing ones of all.. I will go to buy a new shoes right now."

But the sisters didn't like staying at school, so Ezdi left her class to go to the beautiful streets of Yafa, to see the best shoes and clothes. She walked in Souq Iskandar, Souq Jamal Basha, and Souq Al-Darahaly, she kept wondering from one shop to the other, she passed by the square where The Big Clock was, and started staring at the Big Clock raising her head high to have a better sight of it, she kept wondering and wondering without giving any attention to the shops owners, or even the passersby, who were eyeing her.

As for Enji, she went to the hill overseeing the sea, and called out for her cousin who lives up the hill. They started rolling down the hill over and over again, one could hear their laughter filling the place. Their dresses were swinging up and down their thighs. Her aunt's house was one of the most magnificent houses in Yafa. Her aunt was one of the most beautiful women there and was married to a very rich man. Her house was really one of the most luxurious houses on the cliffs overlooking the Mediterranean. Their house had nothing but the finest of imported furniture, there is a huge black ebonized piano decorating the entrance, which her cousin always showed off playing.

Afti, on the other hand headed straight to the sand beach, she didn't want to get into Yafa's main port where big ships load oranges, and she wanted to go to the Roubine Sand Beach. There, her new shoes for Al-Eid sunk into the soft sands of Roubine beach, she wanted to find her shoes to wear them because her father warned her; if she didn't find them, she would go to Al-Eid 'barefooted' and would not play with swings.

Afti took a ride on a howdah mounted on a camel's back, she spent the whole day looking for her shoes in the sand, yet she couldn't find them, so she started walking on the beach, and saw decorated beautiful tents all over the place, saw shops with nice stuff, felt the sea breeze, and played with the other kids. She was overwhelmed with love, joy and happiness.

Hours later, the sisters met, near Sheik Younis Restaurant by the side of the sea, but they were surprised when they saw the waiter had brought them a tray with three half-full glasses of orange juice! What is even stranger, is that the waiter was the same taxi driver that had given them the orange juice at the beginning. The girls got puzzled, should they take the glasses, or should they just say no? Due to his insistence and piercing looks, the girls drank the magical potion of orange juice. Suddenly, their bodies grew, their breasts became fuller and their shoes fitted them once again, so they looked at one another and started laughing and giggling.

The waiter- the driver-, was smirking secretly, saying to himself, "Now they are fifteen years older!!"

Ezdi looked at the café's wall and noticed a huge calendar on that wall with that day's date "1st - April-1948", she felt like her heart stopped, and she didn't know why.

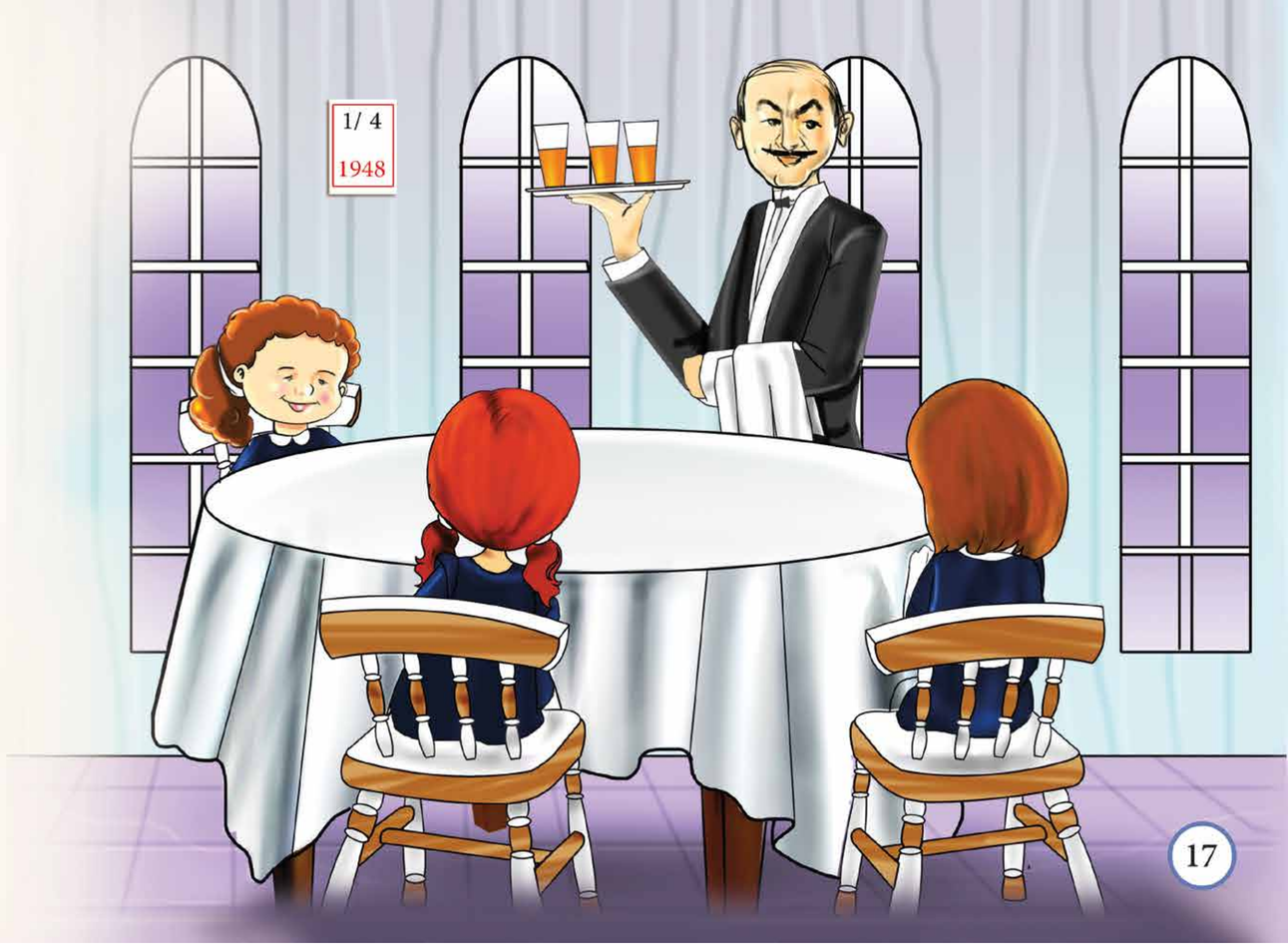

It was only hours until the situation had completely changed, echoes of bullets and bombs filled the place, here and there, houses were being destroyed and buildings were collapsing.

The sisters heard the merchants in Iskandar street saying that their shops were destroyed, heard the farmers in the orange fields saying that the bombs had uprooted a lot of orange trees, and those who were in the tents on the beach were saying that their tents were blown out of their place, and their merchandise was scattered and shredded into pieces, nothing was left anymore.

Fear dominated people's hearts. The girls were feeling shocked and sad! Where did all the beautiful clothes and shoes go? How were the orange tree branches and fruits crushed? Where did all the splendid lamps and beautiful tents of Roubine Beach go?

Enji's heart was filled with enthusiasm, so she headed to Al-Ajami neighborhood where there were a lot of men and scouts defending their city from these armed Jewish gangs.

Once she saw the intensity of bombing and bullets, and saw the number of martyrs of Yafa's men, she ran away feeling terrified.

A large number of Yafa's residents were running towards the port's dock. There, they were all getting onboard the small ships and boats at sea, dodging the bombs and bullets, they left Yafa without saying good bye, and boarded ships waiting for the war to end and the fighting to stop.

Out of the blue, this weird-eyed man appeared on a ship at the port, he was carrying thick ropes to tie the ship to the dock, he looked at the girls and told them to get on board quickly.

In moments, the three sisters were holding the hand of that stranger, boarding the ship, while there was a tray of orange juice glasses waiting for them.

** The End **

الأديبة

روضة الفرخ الهدهد

صدر للمؤلفة الكتب التالية للاطفال :

- سلسلة حكايات بطولية للأطفال (1-26) تناسب الطلاب من الصف الرابع.
- سلسلة حكايات الغول (1-3) تناسب الطلاب من الصف الثاني.
- سلسلة قصص الصحابة (1-2) تناسب الطلاب من الصف الرابع.
- سلسلة المسرح للأطفال (1-8) قدمت على المسارح الأردنية .
- كتب الطفولة المبكرة (1-5) تناسب الطلاب من الصف الأول الأساسي.
- سلسلة حكايات علمية وأخرى (1-8) تناسب الطلاب من الصف الرابع .

كما صدر للمؤلفة :

- كتاب اليافاوية باللغتين : العربي والإنجليزي سيرة ذاتية (1).
- كتاب من يافا إلى عمان مع المحبة "سيرة ذاتية " سيرة ذاتية (2).
- كتاب ثقافة الأطفال في الأردن.

تصفح السيرة الذاتية واقرأ الكتب على موقع الكاتبة

Website: www.rawdahudhud.com
E-mail: rawdahudhud@msn.com

تطلب الكتب من دار كندة :

Tel: +96265929282 Fax: +96265922145
P.O.Box: 815331 Amman 11180 Jordan